كلاسيكيات مُبسطة

الجريمة والعقاب

فيودور دوستويفسكي



رسومات
هيلين باناي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي

كلاسيكيات مُبسطة

الجريمة والعقاب

فيودور دوستويفسكي



روسومات
هيلين باناي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

حقوق الطبع والنشر

سلسلة الأعمال
الكلاسيكية
الكبرى المبسطة



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونُخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

الجريمة والعقاب

فيودور دوستوفيسكي



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الشخصيات

آل راسكولنكوف



السيدة راسكولنكوف

ربة الأسرة



روديا راسكولنكوف

الابن



دونيا راسكولنكوف

الابنة



ديميتري رازوميخين

صديق روديا

آل مارميلادوف



مارميلادوف

رب الأسرة



صوفيا مارميلادوف

الابنة

آل إيفانوفنا



أليونا إيفانوفنا

مرابية عجوز



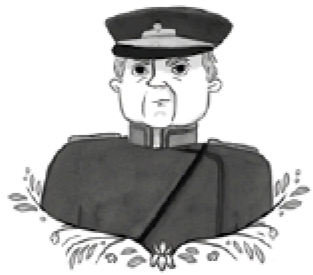
لزافيتا إيفانوفنا

شقيقتها



زاميتوف

ضابط شرطة



بيتروفيتش

محقق



بيوتر لوزين

خطيب دونيا



سفيدريجالوف

صاحب عمل دونيا السابق

الفصل الأول

جلس روديا راسكولنكوف، الذي كان يعيش في حي فقير من أحياء سانت بطرسبرج، على فراشه المتهالك متأملًا شقته الضيقة التي تساقط ورق الحائط من جدرانها وفرشـــــت أرضيتهـــا ببساط مهترئ ومرقـع. مـــــرر أصابعه بيـن خصلـــــات شعره الكستـــنائي الطويل في ضيـــق وهــو يتأمل كيف انتـهى بـــــــه المطاف إلى هذه الحال، فذات يوم كان أكثر طلاب القانون تفوقًا في جامعته، أما الآن، فقد بات يقضي أيامه يتساءل كيف سيمكنه تدبير أمر وجبة الطعام التالية.



فكر راسكولنكوف بينه وبين نفسه وهو يفرك يديه: "آه، لو أنني أمتلك المال. لو كان معي مال لتمكنت من دفع مصاريفي واستئناف دراستي لأصبح محاميًا، وحينها سأتمكن من مساعدة الكثير من الناس".

كان راسكولنكوف يعرف شخصًا لديه الكثير من المال، إنها أليونا إيفانوفنا المرابية العجوز. اعتادت أليونا أن تقرض الناس مبالغ صغيرة من المال مقابل أغراض ثمينة، ثم بعد ذلك تبيع هذه الأغراض وتحقـــق ربحًـــا وفيرًا. كانت تعرف الأشخـــاص اليائسين وتستـــغل يأسهم هذا لتصبح غنية.



تردد راسكولنكوف على أليونا بضع مرات، كان وقتها في حاجة ماسة إلى شراء الطعام ودفع الإيجار، فباع العديد من مقتنياته الثمينة لها.

تمنى راسكولنكوف لو استطاع أن يسلبها ما لديها، وأخذ يفكر في أنها مجرد روح واحدة ولا ضير في أن يزهقها. فماذا تعني روح واحدة مقارنة بآلاف الأرواح التي سيساعدها بمجرد أن يسدد مصاريف دراسته ويصبح محاميًا.

بدأ راسكولنكوف يضع خطة، فكل ما يحتاج إليه هو تغيير حياته، ولقد عرف الآن كيف سيغيرها؛ فبكل بساطة سيقتل أليونا إيفانوفنا ويأخذ أموالها. لم يكن يتخيل أن يرتكب جريمة شنعاء كهذه، لكنه شعر بأنه لا يملك خيارًا آخر.



***

أتى صوت واهن يرتجف من خلف باب متجر المرابية يسأل: "من بالباب؟". كانت أليونا إيفانوفنا امرأة مسنة وضعيفة.

قال روديا راسكولنكوف: "إنه أنا يا سيدة إيفانوفنا، روديا راسكولنكوف. لقد تقابلنا من قبل، عندما أتيت لأعرض عليكِ ساعتي. أنا في حاجة للمزيد من المال".

فتحت أليونا إيفانوفنا باب المتجر ببطء لتسمح لـراسكولنكوف بالدخول. كانت ضئيلة الجسد وقد انحنى ظهرها بفعل السن، أما المتجر فقد كان معتمًا ورطبًا، ومن خلف الصناديق الزجاجية التى يكسوها التراب تلألأت الخواتـــم والقلائـــد والساعـات وجميـــع أنـــواع الأغراض الثمينة، ومن بين الأغراض المعروضة، لمح راسكولنكوف مقتنياته.

قال وهو يناولها شيئًا: "هذه ساعتي. أظن أنها لا تساوي الكثير من المال". كانت هذه الساعة هي آخر شيء يملكه راسكولنكوف صالح للبيع.

تلفتت السيدة العجوز حولها بحثًا عن عدستها المكبرة.

في هذه اللحظة فكر راسكولنكوف قائلًا: ‘‘هذه هي اللحظة المناسبة! هذه فرصتي!’’.

لكنه لم تطاوعه نفسه على ارتكاب جريمته؛ فإزهاق روح إنسان أمر ظن راسكولنكوف أنه لن يقدر أبدًا على فعله، وبدلًا من هذا، قَبِل من السيدة العجوز النقود التي عرضتها عليه مقابل ساعته، وهمَّ بمغادرة المتجر.

شـــــعر راسكولنكوف بالغضب من نفسه. لقد كان واثقًا بـخطته، والآن أضاع فرصة تنفيذها. هز راسكولنكوف رأسه في إحباط ومضى في طريقه.

وبينما كان يخطو إلى الشارع، وجد راسكولنكوف نفسه يقول لها: "في الواقع، أنا أمتلك صندوق مجوهرات أريد أن أعرضه عليك أيضًا. إنه يساوي أكثر بكثير من ساعتي القديمة هذه".

ضيقت أليونا إيفانوفنا عينيها وقالت: ‘‘رائع. أحضره لي لكي أراه".

الفصل الثاني

عاد راسكولنكوف إلى شقته يشعر بالإحباط، فلم تكن تبعده عن تنفيذ خطته سوى خطوة واحدة، لكنه جبن ولم يفعل شيئًا. تمنى فقط ألا تخونه شجاعته مرة أخرى عندما يعود إليها بصندوق المجوهرات.

رأى راسكولنكوف رسالة ملقاة عند عتبة الباب، وتعرف على الفور على شخصية المرسل من خطه.

ابني العزيز،

أكتب إليك لأخبرك بأخبار دونيا، فكما تعلم، إنها كانت تجني الكثير من المال خلال الأشهر الماضية من عملها مربية أطفال لدى عائلة رجل يُدعى سفيدريجالوف. وللأسف، اضطرت إلى ترك هذه الوظيفة، لقد اعترف سفيدريجالوف لها بأنه يحبها، على الرغم من أنه رجل متزوج. شعرت دونيا بأنها يجب أن تغادر المنزل، وأن تترك ذلك الرجل المزعج في الحال.

ليس لدينا الكثير من المال، وما كان لدينا من مال قليل أنفقناه على دراستك، وبدون دعمك، ليس أمام دونيا خيار سوى الزواج حتى نتمكن من البقاء على قيد الحياة. لطالما رغب بيوتر لوزين في الزواج بها. إنه غني ومحترم...

كوَّر راسكولنكوف الرسالة وألقاها في أحد أركان الغرفة، وكان يعرف من رسائل والدته أن دونيا يمكنها أن تتزوج شخصًا أفضل بكثير من بيوتر لوزين، وهو رجل غني حقًا، لكنه متعجرف، وسيعامل دونيا كما يعامل الخادمات. كان راسكولنكوف يعرف أن الزواج بهذا الشخص هو آخر شيء تتمناه دونيا. لكنها كانت مجبرة على قبول عرضه بالزواج منها بسبب دراسة راسكولنكوف وأحلامه.

نهض راسكولنكوف وكله إصرار على تنفيذ ما خطط له، كما لو أن هناك شخصًا آخر أكثر قوة منه بكثير احتل جسده. هذه المرة لن يتراجع عن تنفيذ خطته، وقد كانت رسالة والدته دليلًا على أن هذا هو الطريق الوحيد الذي يمكنه أن يسلكه. لابد أن يأخذ نقود أليونا إيفانوفنا، لا ليصبح محاميًا فقط، بل لينقذ شقيقته من الزواج من رجل كهذا.

خرج راسكولنكوف من شقته وحمل معه فأسًا من مخزن الحطب الموجود في الزقاق، وأخفاها في معطفه، ومضى قاصدًا متجر المرابية.

الفصل الثالث

في صــــباح اليــوم التالي، استيقظ راسكولنكوف في حالة من الذهول. كان يرقد على الأريكة منهارًا من إرهاق الليلة الماضية، وقد انشغل عقله بما اقترفه؛ فقد قتل أليونا إيفانوفنا وسرق مالها وبعضًا من المجوهرات. لقد نفذ خطته، ولكنها للأسف لم تسر كما تخيل.

فبينمـــا كان راسكولنكوف يرتكـــــب جريمته الشنعاء، وصلت شقيقة المرابية، لزافيتا، إلى المتجر. ولأنها رأت الجريمة التي ارتكبهـــــــا راســــكولنكوف، لم يجد مفرًّا من قتلها. لم يرغـب راسكولنكـــــوف في قتلهـا، لكـــن لــم يكن أمامــه خيار آخــــر. على أية حال إنه مضطر لدفــــع مصاريف دراسته، وما قيمة حياة شخصين أمام آلاف الأرواح التي سيساعدها إذا أصبح محاميًا؟



بينما كان راسكولنكوف غارقًا في هذه الأفكار اليائسة، طرق أحدهم الباب. فتح راسكولنكوف الباب ونظر ليجد عند عتبته مظروفًا يحمل شعار قسم شرطة سانت بطرسبــرج الرســمي. من المؤكد أن الشرطة اكتشفت ما اقترفه. فض راسكولنكوف المظروف بيد مرتعدة. كانت الرسالة تتضمن أمر استدعاء رسمي يطلب فيه الذهاب إلى القسم هذا الصباح.

***

سأل ضابط الشرطة الشاب: "هل أنت روديا راسكولنكوف؟"، فأومأ راسكولنكوف برأسه دون أن ينطق بكلمة. قال الضابط: "أشكرك لحضورك يا سيد راسكولنكوف. اسمي الضابط زاميتوف، وهناك شكوى مقدمة ضدك".

جف حلـــق راســـكولنكوف، وقال بصوت مبحوح متسائلًا: "شكوى؟".

رد الضابط زاميتوف وهو يحك رأسه ويقلب في الأوراق الموضوعة أمامه: "أجل، من مالكة المنزل الذي تسكن فيه. إنها تشتكي لأنك لم تدفع الإيجار منذ ثلاثة أشهر تقريبًا. أهذا صحيح؟".

قال راسكولنكوف وقد عاد صوته إلى طبيعته بعد أن شعر بالارتياح: "نعم، هذا صحيح يا سيدي الضابط، فأنا أمر بضائقة مالية في الوقت الحالي".

هز الضابط زاميتوف رأسه قائلًا: "مفهوم. هناك الكثير من الأشخاص في ظروفك نفسها، وبعض الأشخاص ييأسون لدرجة تدفعهم لارتكاب أمور مروعة".



نظر راسكولنكوف إليه وقال متسائلًا: "أي نوع من الأمور؟".

رد الضابط: "هذا الصباح مثلًا، عثرنا على المرابية العجوز وشقيقتها قتيلتين في متجرها. شخص ما قتلهما من أجل المال وبعض المجوهرات".

أصاب رأس راسكولنكوف الدوار، وقال: "يا...يا له من أمر بشع. هل عرفتم هوية مرتكب الجريمة؟".

حدق الضابط زاميتوف إلى وجه راسكولنكوف للحظة قبل أن يجيب: "ليس بعد، لكنها مسألة وقت، فالأشخاص الذين يرتكبون هذا النوع من الجرائم يقعون دومًا في النهاية".

لم يسمع راسكولنكوف أي شيء بعد ذلك، فقد سقط أرضًا وأظلمت الدنيا أمام عينيه.

الفصل الرابع

فتح راسكولنكوف عينيه وتذكر أين هو.

سأله الضابط وهو يناوله كوبًا من الماء: ‘‘هل أنت على ما يرام؟ لقد غبت عن الوعي’’.



قال راسكولنكوف كاذبًا: ‘‘أنا بخير حال، لكنني لم أتناول أي طعام اليوم، وهذا كل ما في الأمر’’. كان راسكـــولنكوف يرغب في مغـــادرة قســـــم الـشرطـة على الفور.



أومأ الضابط زاميتوف قائلًا: "لقد ظننت أن أخبار جريمة القتل قد أزعجتك. هل تعرف السيدة إيفانوفنا؟".

رد راسكولنكوف سريعًا: "لا. أقصد، نعم، معرفة سطحية. لقد اشترت مني ساعتي بالأمس، لكننا لم نكن صديقين".

حدق الضابط زاميتوف إلى وجه راسكولنكوف عندما لاحظ أن الكوب في يده يهتز.

فنهض راسكولنكوف بحذر قائلًا: "أشكرك على مساعدتك. سأحرص على دفع الإيجار للسيدة صاحبة المنزل في أقرب وقت ممكن".

ودون أن ينتظر ردًا من الضابط، غادر راسكولنكوف قسم الشرطة إلى الشارع ليستنشق هواءه البارد. شعر بدوار، وظل جسده يرتجف، فقرر أن يزور صديقًا قديمًا له كان يعيش بالقرب من الجامعة، حيث قضى كلاهما العديـــــد من الأيام السعيدة معًا.



كان ديميتـــــري رازوميخيـــن في عمـر راسكولنكوف نفســه، لكنه بدا أكبر منه بعشـر سنوات. كان شـــعره قصيـرًا ومصففًـــا بعناية، وارتـدى ملابس أنيقة، كما أنه

كان قويًا ويتمتع بصحة جيدة مثلما كان راسكولنكوف ذات يوم، وكانت شقته في الجامعة نظيفة ودافئة ومرتبة.

سُرَّ ديميتري لرؤية صديقه القديم في منزله، لكنه شعر بالقلق عليه عندما رأى هيئته؛ فقد بدا نحيفًا ومريضًا ومرهقًا.

قال ديميتري: ‘‘لماذا لا تبقى معي لبضعة أيام. المنزل به الكثير من الغرف الشاغرة’’.

هز راسكولنكوف رأسه وقال: ‘‘أنا بخير حال. لقد أردت فقط أن أرى شخصًا قريبًا مني. أرجو ألا يمر وقت طويل قبل أن أعود إلى الجامعة معك، لكن يجب عليَّ أن أذهب الآن، فأنا أشعر بالإرهاق’’.

قال ديميتري: ‘‘على الأقل اسمح لي بأن أسير معك حتى منزلك’’.

اتكأ راسكولنكوف على ذراع صديقه وهما يغادران الجامعة قاصدين تلك البقعة غير الراقية من المدينة. ساعد ديميتري صديقه على صعود الدرج إلى شقته، وراقبه حتى أوى إلى فراشه وخلد إلى النوم.

الفصل الخامس

مرت أيام وراسكولنكوف راقد في فراشه. حاول ديميتري أن يطعم صديقه، لكن راسكولنكوف كان مصابًا بحمى شديدة منعته من تناول الطعام، وبحلول اليوم الرابع، بدأ يتنفس مرة أخرى بسهولة، فنهض جالسًا في فراشه ونظر حوله.



سأل: "ما الذي أصابني؟". ووجد نفسه يتساءل: تُرى هل الأحداث التي مرت عليه خلال أيام الماضية كانت حلمًا؟

رد ديميتري: "كنتَ مريضًا يا صديقي. لقد أتيت لزيارتي في الجامعة، ألا تتذكر؟".

فجأة، صدمت راسكولنكوف حقيقة ما حدث خلال الأسبوع كمن تلقى لكمة في معدته. إنه قاتل، ولقد سرق النقود وبعض المجوهرات. وها هو الآن مع ديميتري في الشقة! لم يكن بإمكانه أن يغامر ببقاء ديميتري لفترة أطول في المكان خشية أن يكشف أمره.

قال راسكولنكوف باستعجال: "أشكرك على كل شيء فعلته من أجلي". ثم هبَّ من فراشه وبدأ يرتدي ملابسه مستطردًا: "من المؤكد أن ثمة محاضرة ستفوتك. ربما حان الوقت لتغادر...".

نهض ديميتري متفاجئًا من فظاظة صديقه، وقال: "حسنًا، سأرحل إذا كان هذا ما تريده".

قبل أن يرد عليه راسكولنكوف، ظهر شاب آخر عند باب الشقة. دق ذلك الرجل الأنيق ضئيل الجسد الباب، لكنه لم ينتظر حتى يؤذن له بالدخول. خطا الرجل داخل الشقة وتلفت حوله، ثم تعلقت عيناه بالستائر المهترئة وورق الحائط المتساقط وكأنه يرى شيئًايثيراشمئزازه.

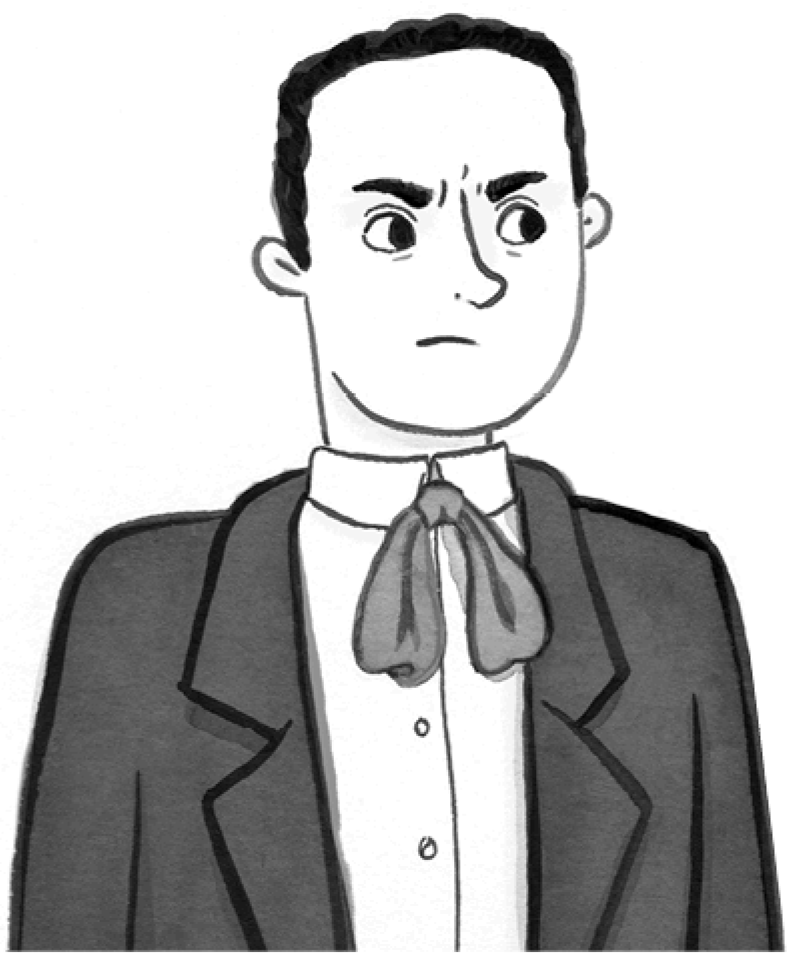


قال راسكولنكوف وهو يشعر بضيق من ذلك الشخص المتطفل: "هل يمكنني مساعدتك؟".

رد الشـــاب: "اســـمي لوزين. لقد أخبروني بأن شقيق خطيبتي يعيش هنا، لكن أظن أنهم أعطوني عنوانًا خطأً". أخذ الشاب يرمق راسكولنكوف بنظرات فاحصة متطلعًا إلى

ملابسه الرثة وشعره الأشعث.

"لا. الـــعنوان ليـــس خـــطـــــأ، أنـــا راســـكـــولنكـــوف شقيـــق دونيـــــا".



ضحك لوزين ضحكة قصيرة ثم قال: "حسنًا، لقد أخبرتني دونيا بأن عائلتها ليست ميسورة الحال، لكنها لم تخبرني بأن شقيقها متسول!".

في هذه اللحظة، وقف ديميتري أمام الرجل وقال بوجه عابس: "أظن أن عليك أن تغادر المنزل الآن يا سيدي".

قال راسكـــــولنكوف: "أشكـــرك يا ديميتري. أنا أحتاج إلى الراحة. إذا أمكنك أن ترشد السيد لوزين إلى طريق الدرج، فسأكون ممتنًا للغاية. سآتي لزيارتك قريبًا".

تبادل لوزين وديميتري النظرات، ثم غادرا منزل راسكولنكوف في صمت.

الفصل السادس

جثم إحساس راسكولنكوف بالذنب على صدره وأثقل كاهله. بات الآن لديه المال اللازم لاستئناف دراسته، لكنه يخشى بشدة الاقتراب من النقود والمجوهرات التي يخفيها في شقوق بجدران شقته.

أخرج راسكولنكوف قدرًا قليلًا من النقـــود التي أخــذهـــا مقابل ســـاعته، وطـرق باب شقة السيدة صاحبة المنزل.



قالت له السيدة العجوز متغضنة الوجه وهي تحصي العملات في يدها قبل أن تدسها في جيبها: "من أين لك هذا؟".

قال راسكولنكوف بهدوء: "لقد رهنت ساعتي".

هزت السيدة العجوز رأسها وهي تحكم ربط وشاح رأسها بالقرب من ذقنها، قائلة: "من حسن حظك أنك لحقت المرابية قبل مقتلها! يا له من حادث مروع"، ثم تنهدت قائلة: "لكن ما يبعث على الطمأنينة هو أنهم ألقوا القبض على الفاعل".

ارتعـد راسكـولنكـوف وقـال بصوت متحشرج: "هـــل قبضوا عليه؟".

قالت صاحبة المنــزل بنبرة يملؤها الازدراء: "ثمة من اعترف بارتكاب الجريمة هذا الصباح، والآن يمكننا أن نأوي إلى أسرتنا مطمئنين مرة أخرى!".

أومأ راسكولنكوف واستدار مغادرًا المكان. سرح عقله فيما حدث وهو يخطو إلى الشارع، فثمة من اعترف بارتكاب الجريمة، فهو إذن حر، لكن معرفته بهذا لم تكن كافية ليشعر بالراحة كما كان يظن. ودون أن يدري، وجد نفسه يقف أمام متجر المرابية، الذي كانت الشرطة تحاصره.

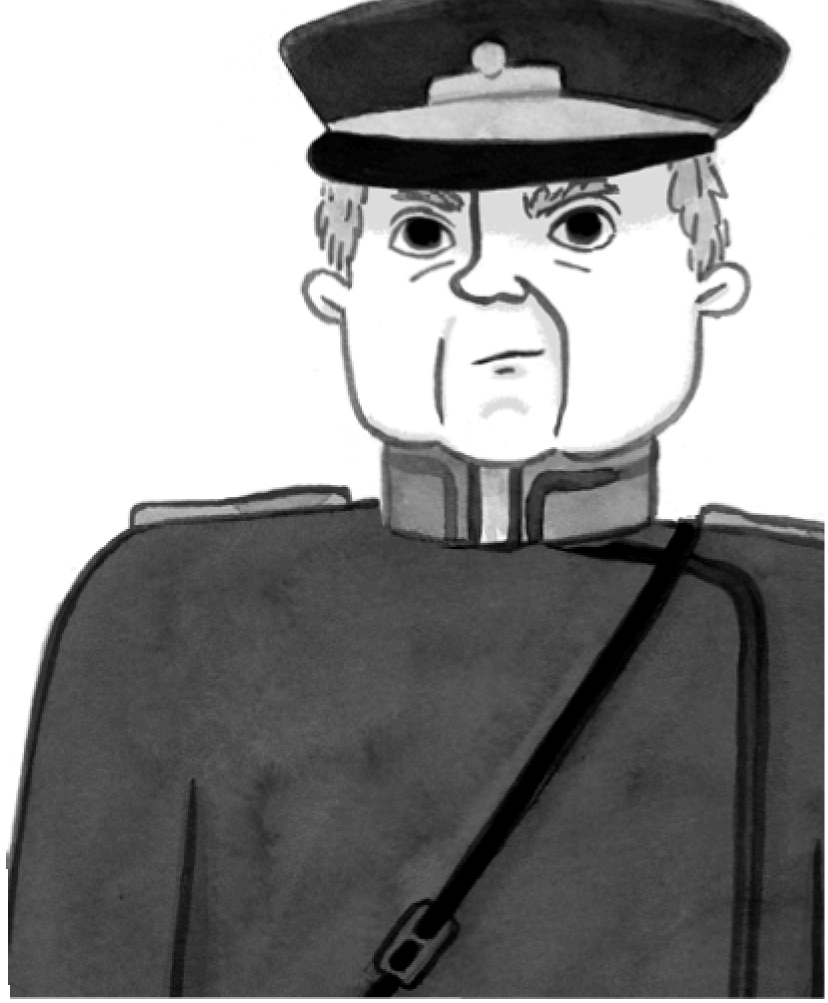
فجأة سمع راسكولنكوف صوتًا مألوفًا يقول: "صباح الخير يا سيد راسكولنكوف. تبدو في حال أفضل". فاستدار ليرى أمامه الضابط زاميتوف.

حاول راسكولنكوف الابتسام هو يقول: "أشكرك، لقد سمعت أن هناك من اعترف بارتكاب جريمتي القتل".

رد الضابط مبتهجًا: "على ما يبدو أن القضية أغلقت".

أتاه صوت رجل أكبر عمرًا من خلفه يقول: "إنها بعيدة كل البعد عن هذا"، فقدم الضابطُ زاميتـــــوف المتحدثَ، الذي لم يكن سوى المحقق بورفيري بيتروفيتش المسئول عن

التحقيق في القضية.



ســـأل راســكولنكوف، متحاشيًا نظرات المحقق: "لماذا تقول هذا؟".

رد المحقق بيتروفيتش: "لأنه من الصعب أن يرتكب أحد جريمة قتل ثم يعترف بجريمته، كما أن هذا الرجل شوهد في مكان آخر بالبلدة وقت وقوع الجريمة. ليس هو الفاعل".

تسارعت دقات قلب راسكولنكوف في صدره وهو يقول: "ما الذي يجعل شخصًا بريئاً يعترف على نفسه بأنه قاتل؟".

حـــدق المحقـــق بيتروفيتش إلى وجه راسكولنكوف، الذي ظلت عيناه متعلقتين بمتجر المرابيـــة، وقال: "الناس يرتكبـــون الكثير من الحماقات يا سيد راسكولنكوف. ومهمتنا أن نسلمهم للعدالة".

الفصل السابع

لم يشعر راسكولنكوف بالارتياح تجاه المحقق، فقد خُيل إليه أن المحقق بيتروفيتش يرى ما يدور بداخله. مشى راسكولنكوف، وقد قادته ساقاه إلى المكان الذي اعتاد التردد عليه؛ المقهى القديم. كان هذا المكان لا يتردد عليه أي من أصدقائه القدامى بالجامعة، حيث يمكنه أن يجلس دون أن يضطر إلى شرح سر ابتعاده عن حياته القديمة.

عندمـــــــا اقترب راسكولنكوف من المقهى، رأى جلبة في الخارج، فثمة رجل عجوز ملقى تحت عجلات عربة. تعرف راسكولنكوف فورًا على هوية الرجل، إنه مارميلادوف، أحد الرجلين اللذين اعتاد أن يتحدث معهما في المقهى. لطالما حذره مارميلادوف ألا تنتهي به الحال مثله، مفلسًا ويعتمد على ابنــته التي تُحضـــر إلى المنزل قـــــدر ما تـــستطـيع من المال.



قال راسكولنكوف: "تنحوا جانبًا! أنا أعرف هذا الرجل".



قال سائق العربة: "ليس بإمكانك أن تفعل شيئًا من أجله! لقد ظهر فجأة وكأنه خرج من باطن الأرض!".

أصيب مارميلادوف إصابة بالغة، لكن راسكولنكوف رآه يحرك شفتيه ليقول شيئًا، فجثا على ركبتيه بجواره. همس مارميلادوف قائلًا: "احملني إلى المنزل عند صوفيا يا روديا".

وبكل مـا أوتـي مــن قــوة، جذب راسكولنكوف الرجل لكي يقف على قدميه، فاتكأ الرجل على كتفه وحمله راسكولنكوف إلى المنزل.

***

فتحت باب منزل مارميلادوف الصغير امرأة شابة كانت طويلة القامة ونحيلة، ولها عينان داكنتان كعيني مارميلادوف، واسمها صوفيا.



بمجرد أن رأت صوفيا أباها على حالته هذه، صاحـــــت في ذعر: "أبتاه!"، ثم ساعدت راسكولنكوف حتى أرقداه على أريكة متهالكة.

نظرت صوفيا إلى أبيها وقالت: "يجب أن يفحصك طبيب".

قال راسكولنكوف بصوت خفيض: "أخشى أنه ليس هناك أي شيء يمكن فعله لمساعدته".

سألته صوفيا باستعطاف: "هل أنت طبيب؟".

أجاب راسكولنكوف: ‘‘لا، أنا أدرس القانون، لكنني أعلم متى لا يكون هناك أمل في إنقاذ شخص ما’’.

دفنت صوفيا وجهها في معطف أبيها عندما رأته يغمض عينيه، وبعد لحظات قليلة، توقف عن التنفس. لقد مات مارميلادوف.

ظل راسكولنكوف جالسًا مع صوفيا للحظــات، وحكى لها كم كان هو ومــارميلادوف صديقيـــــن.

قال راسكولنكوف: ‘‘لقد أراد العودة إلى المنزل قبيل وفاته. لقد أراد أن يكون معكِ، كان كثير الحديث عنكِ’’.

أومأت صوفيا وهي تكفكف دموعها: ‘‘لا أعرف كيف سأعيش من دونه، كما أنني لا أملك المال اللازم للجنازة’’.

تحسس راسكولنكوف جيبه، وأخرج ما تبقى من النقود التي حصل عليها من بيع ساعته، ثم أعطاها لصوفيا قائلاً: ‘‘خذي هذه النقود. إنها ليست كثيرة، لكنها ستكفي لإقامة مراسم دفن صغيرة’’. كان يعرف أنه لاشئ سيعيد إلى صوفيا أباها، لكنه على الأقل يمكنه أن يساعدها بأي شيء.

الفصل الثامن

في صباح اليـــــوم التالي، تسللت أشعة الشمس المشرقة عبر ستائر شقة راسكولنكوف الخفيفـــــة لتوقظه من نومه، فأخذ يفكر في مارميلادوف. منذ أن ترك راسكولنكوف الجامعة لم يعد لديــــه الكثير مـــــن الأصدقـــاء، وكان مارميــلادوف واحدًا من أصدقائه القلائــــــــــل، ثم بدأ التفكير في أليونا إيفانوفنا. تُرى من الأصدقاء الذين سيحزنون عليها بعد أن أزهق هو روحها؟



كانت تلك الليلة في متجر المرابية تشبه الحلم، وكأن ما حدث فيها حدث لشخص آخر غيره. اغتسل راسكولنكوف وارتدى ملابســـــه، وفكر فيما حدث بالأمس، وأنه استطاع مساعدة صوفيا في وقت حاجتها، ومن المؤكد أن هذا يبرهن على أنه شخص صالح، وقرر في نفسه أن يعمل جاهدًا لإثبات أن هذه الجرائم لم ترتكب سدى، وأنه سيساعد آلاف الأشخاص.

قرر راسكولنكوف أن يذهب إلى شقة ديميتري، فقد كان يأمل في أن يساعده صديقه للعودة مرة أخرى للجامعة بما أنه يمتلك الآن المال اللازم لدفع المصاريف.

دق راسكولنكوف باب شقة صديقه، ففتح له ديميتري، وقال وهو يفسح المجال له للدخول: "تسرني رؤيتك. لكنك ما زلت تبدو شاحبًا يا صديقي".

رد راسكولنكوف: " أنا بخير حال. في الواقع، أرغب في العودة إلى الجامعة. لديّ الكثير من الخطط، لكنني أحتاج إلى مساعدتك".

قال ديمتري وهو يلف أحد أوشحته حول عنق راسكولنكوف: "يمكننا أن نناقش هذا لاحقًا، لكن عليك أن تذهب الآن إلى المنزل وتحصل على قسط من الراحة. دعني أرافقك إلى هناك".

***



بينما كان راسكولنكوف يخبر ديميتري بأفكاره المستقبلية، فتح باب شقته ليرى أمه ودونيا جالستين إلى طاولة صغيرة بجوار المدفأة غير المشتعلة.

نهضت والدته بمجرد أن رأته لتحييه قائلة: "ابني روديا".

سيطر الذهول على راسكولنكوف، لم يكن يعرف أن والدته وشقيقته قد خططتا للسفر من البلدة الصغيرة التي ترعرع فيها هو ودونيا من أجل زيارته، فسألهما وهو ينهار جالسًا على الأريكة: "كيف دخلتما هنا؟".

قالت دونيا وهي تنقل بصرها بينه وبين ديميتري: "لقد سمحت لنا صاحبة المنزل بالدخول".

فجأة، تذكر راسكولنكوف أن ديمتيري ما زال واقفًا عند الباب، فقال: "هذا صديقي ديميتري رازوميخين، لقد كنا في الجامعة معًا، قبل أن ..."، ثم بتر عبارته دون أن يتمها.

قال ديميتري: "أظن أنه ينبغي أن أرحل".

قالت دونيا وهي تقف: "لا، لا. ابق من فضلك. فربما احتجنا إلى مساعدة صديق فيما سنقوله لأخي. أخشى أن ما سوف نخبره به لن يروقه".

هَبَّ راسكولنكوف من مقعده بينما كانت أمه تشرح أسباب زيارتهما.

الفصل التاسع

استشاط راسكولنكوف غضبًا، وبينما كانت أمه تتحدث، ظل يذرع حجرة المعيشة الضيقة جيئة وذهابًا.

قالت أمه: "سيقام الزفاف في الصيف. لوزين رتب كل شيء، ولقد دفع مقابل كل شيء".

قال راسكولنكوف: "أنا أعرف أنكِ لست راغبة في الزواج منه يا دونيا. لقد قابلته. لقد اقتحم عليَّ المكان هنا، وأرى أنه رجل سيئ للغاية".

تنهدت دونيا، واختلست النظر إلى ديميتري الذي أحضر لصديقه كوبًا من الماء، وقالت: "هذا صحيح. إنه ليس ذلك النوع من الرجال الذي طالما حلمت بالزواج منه، لكن دون أموال لوزين، سأصبح أنا وأمك مفلستين".

وضع راسكولنكوف يديه على رأسه، ثم قال: "رجاءً انتظري حتى أنتهي من دراستي. سأعمل بوظيفة جيدة وسأرسل إليكما المال".



قالت أمه بهدوء: "أنت تعرف أنه ليس بإمكاننا الانتظار طويلًا".

تنهد راسكولنكوف، فقد كان يعرف أن أمامه عامًا على الأقل قبل أن يتمكن من الحصول على وظيفة في مكتب محاماة أو أي مكان آخر، كما أنه لا يمكنه أن يعطي أمه من المال الذي سرقه وإلا سيسألانه كيف حصل عليه.



سأل راسكولنكوف في إرهاق: ''ما الذي تريدانه مني؟''.

ابتسمت دونيا وقالت: ''أن تتحسن، وأن تكون أكثر هنداماً، وأن تظهر للوزين كم أنت عطوف وحنون كعهدنا بك دومًا''. غُرست كلمتا ''عطوف'' و''حنون'' في قلب راسكولنكوف كالخنجر؛ فهو يعرف أنه أبعد ما يكون عن هاتين الصفتين الآن.

ثم التفت إلى أمه وشقيقته وسألهما: ''أين تقيمان؟''. وفجأة شعر بتوق شديد للاختلاء بنفسه، فعندما يكون بمفرده، لا يضطر إلى التظاهر بأنه الشخص الذي يظنه الناس أنه هو.

قالت أمه وهي تجول ببصرها في الشقة الصغيرة: ''لا نملك المال الكافي لنقيم في فندق. لقد ظننا أنه يمكننا أن نبقى معك هنا لبضعة أيام''.

تجلت نظرة ذعر في عيني راسكولنكوف، فلا يمكنه أن يتخيل أمه نائمة على فراشه المحطم، أو شقيقته نائمة على الأرض المتسخة. علاوة على أن المال والمجوهرات المسروقة ما زالت في الشقة؛ لذا كان من المستحيل أن يسمح لهما بالبقاء معه.

وهنا تدخل ديميتري قائلًا: ‘‘ربما كان بإمكاني تقديم المساعدة. هناك شقق خالية في الجامعة من أجل الزائرين الذين يأتون للطلبة. يمكنني أن أصحبكما إلى هناك بوصفكما ضيفيَّ’’.

شعر راسكولنكوف بامتنان شديد تجاه صديقه أكبر مما كان يكنه له من قبل، واستقر في صدره ألم يعتصره وهو يتطلع في وجوه أمه وشقيقته وصديقه المقرب. هؤلاء الناس أفضل منه بكثير. إنه لا يستحق وجودهم في حياته.



الفصل العاشر

في صباح اليوم التالي، استيقظ راسكولنكوف مبكرًا، ونقل الأغراض المسروقة من شقته، وحفر حفرة صغيرة بجوار مخزن الحطب وأخفاها تحت الأرض المغطاة بالثلوج.



وعندمـــــــــا عاد إلى الـمنزل، فعل كل ما في وسعه لكي يجعل غرف الشقة تبدو أفضل؛ فكنس الأرضيات ونظف الصحون المتسخة، ثم رتب فراشه وفتح الستائر. كان

راسكولنكوف يعرف أن والدته وشقيقته سيأتيان مرة أخرى لزيارته قريبًا، ولقد أراد أن يكون رجلًا أفضل من أجلهما.

وكما توقع، أتت أمه وأخته لزياته، وبمجرد أن رأته أمه قالت: "لقد تلقينا رسالة من لوزين". جالت الأم ببصرها في أنحاء غرفة معيشة ابنها الصغيرة باحثة عن مكان تجلس فيه، فقادت دونيا أمها إلى أريكة قبل أن تُخرج من حقيبتها الرسالة.

قالت دونيا بهدوء: "يقول إنه لا يريدك في الزفاف".

ضحك راسكولنكوف وقال: "هل هذا هو ما في الأمر؟ إذن لن أسمح لكِ بالزواج منه".

هزت دونيا رأسها قائلة: "إذا لم تأذن لي بهذا، فأنت تحكم عليَّ وعلى أمي بالتشرد. سنصبح بلا مأوى".

اجتاح راسكولنكوف شعور بالغضب المرير، فهذا الرجل البغيض الوضيع يجبر شقيقته على الزواج منه، والآن يحاول أن يُخرج راسكولنكوف من حياتها.

قبل أن يتفوه بكلمة، سمعوا طرقًا رقيقًا على باب شقة راسكولنكوف، وببطء دخلت سيدة شابة الشقة. لم تكن هذه الشابة سوى ابنة مارميلادوف؛ صوفيا.



قالت صوفيا وهي تنقل بصرها بين راسكولنكوف وأمه وشقيقته: "آسفة على الإزعاج. لم أكن أعرف أن لديك ضيوفاً".

لم يتمكن راسكولنكوف من منع نفســـه من الشعور بالفرحـــــة لرؤيتها، فمنذ ذلك اليوم المشئوم الذي وقعت فيه حادثة والدها خارج المقهى، وهي تخطر بباله كثيرًا، فقال راسكولنكوف: "لا عليك. رجاءً تفضلي يا صوفيا. ما الذي يمكنني تقديمه لك؟".

قالت صوفيا بصوت منخفض: "وددت أن أدعوك لحضور جنازة أبي، ولأشكرك على مساعدتك".

رد راسكولنكوف وهو يرافقها إلى باب الشقة: "شكرًا لك، شرف لي أن أحضر الجنازة".

ابتسمت صوفيا تحية لعائلة راسكولنكوف، وخرجت من الباب.

ساد الصمت الغرفة للحظات قبل أن تتكلم دونيا موجهة حديثها إلى شقيقها: "أريدك أن تقابل لوزين. إذا كنت تمكنت من مساعدة هذه الشابة، فالأولى أن تساعدني. أريدك أن تحضر زفافي يا روديا".

أومأ راسكولنكوف، وشعر بأنه مغلوب على أمره، ثم تنهد وقال: "حسنًا، سآتي، لكن شريطة أن نتقابل في شقة ديميتري. أريد أن يكون هناك شخص واحد على الأقل في صفي".

وافقت دونيا. فهي تعلم أنه إذا كان هناك شخص يمكنه أن يحافظ على مقابلة هادئة بين شقيقها وخطيبها، فلن يكون هذا الشخص سوى ديميتري. رغم أنها عرفته منذ فترة قصيرة، فإن ديميتري طيب ورصين ورجل صالح. إنه من الرجال الذين تمنت دونيا أن تتزوج من أحدهم ذات يوم.

الفصل الحادي عشر

في صباح اليوم التالي، انتظر راسكولنكوف على الناصية خارج مبنى الجامعة الذي كان ديميتري يحضر فيه محاضرة. كان الجو قارس البرودة، ولم يكن راسكولنكوف قد تناول أي طعام. لم يقو على الاقتراب من المال الذي سرقه، خشية أن يربط أحد بينه وبين ما حدث في متجر المرابية، كما أنه أعطى آخر مبلغ متبقٍّ معه إلى صوفيا يوم وفاة أبيها.



بينما كان راسكولنكوف غارقًا في أفكاره، رأى صديقه يخرج من قاعة المحاضرات الدافئة، فصاح مناديًا: ‘‘ديميتري!’’.

سأله ديميتري بقلق: ‘‘منذ متى وأنت تنتظر هنا؟ هل كل شيء على خير ما يرام؟’’.

قال راسكولنكوف: ‘‘لقد أحسنت معاملتي أنا وعائلتي، لكنني أخشى أن هناك معروفًا آخر أريدك أن تسديه لي’’.

سار الصديقان معًا إلى شقة ديميتري، وفي الطريق شرح راسكولنكوف له أمر المقابلة التي من المفترض أن تحدث في اليوم التالي.

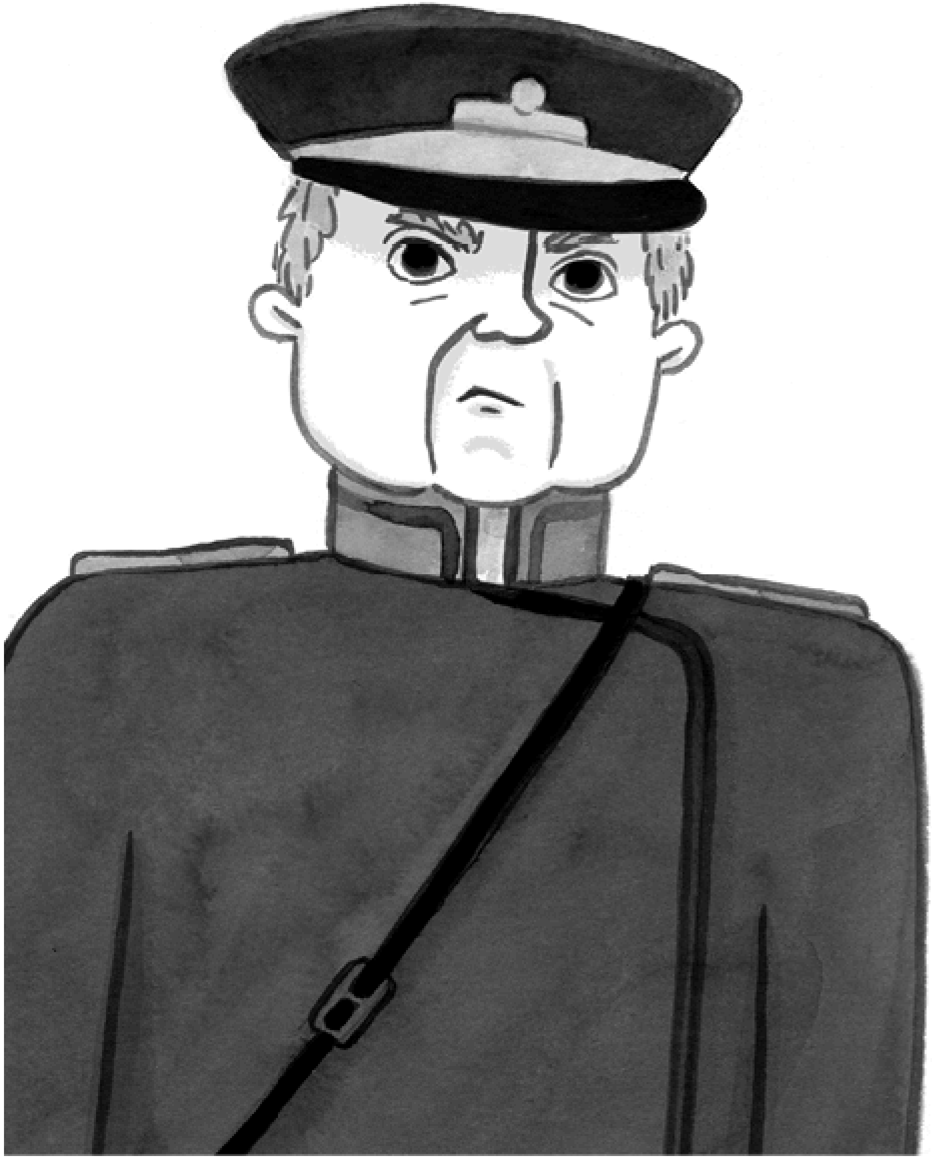
قال ديميتري: ‘‘بالطبع يمكنك استخدام شقتي’’. كانت المرة الوحيدة التي رأى ديميتري فيها لوزين جعلته يبغضه على الفور، وفكرة أن ذلك الرجل سيتزوج من دونيا أصابته بالتعاسة الشديدة، وكان إعجابه بدونيا يزداد يومًا بعد يوم.

وضع راسكولنكوف يده على كتف صديقه، وابتسم ممتنًا.

فجـــأة، سمـــع راسكولنكوف صوتًا بث الخوف في قلبه، يقول: ‘‘روديا راسكولنكوف. كنت آمل أن أقابلك’’.

استدار ليرى المحقق بيتروفيتش، فرغم بنيته الصغيرة، كان حضوره قويًا. كان المحقق بدينًا يشبه كلب البولدوج.

رد راسكولنكوف بهدوء قدر استطاعته: ‘‘صباح الخير يا سيـــــــادة المحقق. هذا صديقي ديميتري رازومـــيـــخيـــن. كـــيف يمكنني مساعدتك؟’’



تجــــاهل المحقـــق بيتروفيتش يد ديميتري الممدودة إليه، قائلًا: ‘‘سيد راسكولنكوف، لقد قرأت بعض أبحاثك، أظن أنك طالب لك مستقبل واعد’’.

ابتسم راسكولنكوف، لكن من داخله شعر بالحيرة والخوف، فلماذا يقرأ محقق مثله مقالاته الجامعية؟

استطرد المحقق: ‘‘لقد أثار انتباهي مقال بعينه كتبته يدورحول أن هناك أشخاصًا مجبرين على خرق القانون. هل يمكنك أن تفسر لي ماذا عنيت بهذا؟’’.

خفق قلب راسكولنكوف بقوة، وانسابت قطرات العرق البارد على ظهره، وقال.

‘‘لقد ناقشت بكل بساطة فكرة أنه لو كان خرق القانون يعود بالنفع أكثر من الضرر، إذن ربما يسمح بارتكابه’’.

أومأ المــحقق بـــيــتروفــيتش قائلًا: ‘‘فهمت’’.

قال ديميتري بضحكة صغيرة: ‘‘إنه مجرد مقال يا سيدي المحقق، فنحن ملزمون بالكتابة عن كل الأمور ونحن ندرس القانون، وهذا لا يعني أي شيء على الإطلاق’’.

أومأ المحقق قائلًا:"أريد أن أناقش هذه الأفكار بالمزيد من التفاصيل يا راسكولنكوف. أريد أن أراك في القسم غدًا’’. أنهى المحقق عبارته، ثم رفع قبعته وسار مبتعدًا.

الفصل الثاني عشر

في ذلك المساء، جلس راسكولنكوف إلى طاولة صغيرة في المقهى، وتسارعت الأفكار في ذهنه. كان واثقًا بأن المحقق بيتروفيتش يشك في أنه هو مرتكب جريمتي القتل.



فجأة، انقطع حبل أفكاره عندما رأى رجلًا ضخم الجثة أنيقًا يجلس على الطاولة المقابلة له، يحدق إليه.

قال الرجل: " السيد راسكولنكوف، أود أن أتحدث معك".

رد راسكولنكوف، وقد تملك منه الخوف أن يكون هذا الرجل محققًا آخر يرغب في التحقيق معه: "كيف عرفت اسمي؟".

رد الرجل وهو يقوم لينضم إلى راسكولنكوف على طاولته: "لقد سألت عنك. هناك من أخبرني بأنك تتردد أحيانًا على هذا المكان. اسمي سفيدريجالوف. أنا أعرف شقيقتك".

على الفور أدرك راسكولنكوف هوية هذا الرجل. إنه ذلك الرجل المتزوج الذي عين دونيا مربية لأبنائه، قبل أن تضطر لترك الوظيفة هربًا من انجذابه العاطفي نحوها.

رد راسكولنكوف محاولًا التحلي بالهدوء: "أعرف جيدًا من أنت يا سيدي. ما الذي تريده مني؟".

ابتسم سفيدريجالوف وقال: "لا شيء. في الواقع، أريد أن أعطيك شيئًا".

بدأ سفيدريجالوف يخبره بأن زوجته قد توفيت في الآونة الأخيرة تاركة لدونيا مالًا في وصيتها؛ وبأن كلاً منهما كانت تحب الأخرى بشدة.

قال سفيدريجالوف: "أريد أن أعطي دونيا ضعف ما أوصت لها به زوجتي". وبعد هنيهة من الصمت، أضاف: "إذا وافقت على الزواج بي".

كتب سفيدريجالوف على قطعة من الورق المبلغين اللذين ستحصل دونيا عليهما وعرضها على راسكولنكوف، وكان المبلغ هائلًا. عرف راسكولنكوف أن دونيا لن تقبل المال من سفيدريجالوف، فمجرد التفكير في هذا الرجل يجعل بدنها يقشعر، لكن المبلغ الذي أوصت به زوجته لها سيكون كافيًا لانتشال دونيا وأمها من الفقر، ولشراء منزل جديد وتوفير حياة مريحة، لهما على الأقل إلى أن يتمكن راسكولنكوف من مساعدتهما. كما أن المبلغ كافٍ ليمنع دونيا من الزواج من لوزين.



نهض راسكولنكوف معلنًا بهذا انتهاء المقابلة؛ وقـــال: "سأبلغها الرســـالة يا سيدي. هـــل ستبقى في ســـانت بطرسبرج؟".

رد سفيدريجالوف: "أنا نزيل في فندق جراند هوتيل. سأظل هناك حتى توافق دونيا على أن تصبح زوجتي".

الفصل الثالث عشر

لم يحمل اليوم التالي أي أخبار سارة لراسكولنكوف، ففي الصباح، كان من المفترض أن يقابل أسرته ولوزين في شقة ديميتري لمناقشة أمر الزفاف. وفي عصر اليوم ذاته، تلقى استدعاء للحضور إلى قسم الشرطة لمقابلة المحقق بيتروفيتش.



تمنى راسكولنكوف أن تـنشـق الأرض وتبتلعه.

عندما فتح راسكولنكوف باب شقة ديميتري، وجد دونيا وأمه جالستين على الأريكة بجوار المدفأة المشتعلة، أما لوزين فكان يقف متكئًا على رف الموقد وقد بدا على وجهه نفاد الصبر.

قـال لـوزيـن موجهًـا كلامـه إلى راسـكولنكوف: "لننتهِ من هذا الأمر.

لا أريد شخصًا مثلك يحضر زفافي، لكن دونيا تصر على حضورك".

حـــدق راسكولنكـــوف إلى لوزين باشمئزاز، ثم استدار محدثًا شقيقته: "دونيا، السيـــد سفيدريجالوف قابلني بالأمس ليخبرني بأن زوجته قد توفيت. لقد تركت لكِ في وصيتها بعض المال. إنه كاف، فلن تضطري معه للزواج من هذا الرجل السخيف".

قال لوزين: "اسمــــع يا هـــذا!"، لكنه لم يكمل عبارته وصمت عندما نهضت دونيا من مقعدها.

سألت دونيا: "هل هذا صحيح يا روديا؟".

أومأ راسكولنكوف قائلًا: "كما أنه يرغب في منحك المزيد من المال بشرط أن تتزوجيه، لكن أظن أنني أعرفك جيدًا بما يكفي لأخمن ردك على هذا الطلب".

برقت عينا لوزين في جشـع، وسأل: "كم تركت الزوجة لهــــا؟ عندمـــــا نتــــزوج سأكون أنا المسئول عن أموالنا بالطبع".



تقدم راسكولنكوف من لوزين والشرر يتطاير من عينيــه، لكن ديميتـــــري أبعده. في هــذه اللحظة التفتــت دونيا لمواجهــة لوزين، ثم أخذت نفسًا عميقًا وقالت: ‘‘سيد لوزين، أظن أنك تعلم أنني لا أحبك. كل ما أردته منك هو أن ترعاني أنا وأمي، لكن هذا لم يعد يلزمني الآن’’. اتسعت عينا لوزين، في حين استطردت دونيا قائلة: ‘‘أنا أفسخ هذه الخطبة’’.

صرخ لوزين وهو يرفع يده ويهم بصفع دونيا: "لا يمكنك هذا!".

هرع ديميتري ليحول بينهما قائلًا: "في الواقع يا سيدي، هذا في إمكانها.

ربما أكون مجرد طالب في كلية الحقوق، لكن إذا غيرت سيدة رأيها بشأن الخطبة، فلها كل الحق لتنهيها".

خلعت دونيا خاتم الخطبة وأعطت لوزين إياه، ووقفت صامتة تتابعه حتى خرج وصفق باب شقة ديميتري خلفه.

صاحت أم دونيا في سعادة قائلة: "مرحى، انتهينا منه!". تعانق ديميتري ودونيا في سعادة في حين وقف راسكولنكوف يتطلع إليهما. كان سعيدًا من أجل شقيقته وشعر بالراحة لرحيل لوزين، لكنه لم يشعر بالبهجة مثلهما. كان قلبه مثقلًا بذنب الجريمتين اللتين ارتكبهما.

ظن راسكولنكوف أنه لن يشعر بالسعادة أبدًا مرة أخرى-وربما لا يستحق أن يحظى بها.



الفصل الرابع عشر

اختار المحقق بيتروفيتش غرفة صغيرة باردة بلا نوافذ ليتحدث فيها مع راسكولنكوف، ثم وضع أمام راسكولنكوف زجاجة ماء.

قال المحقق بابتسامة عريضة: "شكرًا لأنك أتيت لمقابلتي. أود أن أطرح عليك بعض الأسئلة، فكما يبدو لي أنك رجل ذكي. لقد رأيت العجوز إيفانوفنا يوم مقتلها، أليس كذلك؟".

أومأ راسكولنكوف بالإيجاب.

استطرد المحقق: "هل عدت إلى هناك مرة أخرى بعد أن أغلق المتجر؟".

رد راسكولنكوف: "لا. لقد كنت في المنزل طوال الليل".

سأل المحقق: "لمَ أتيت إلى قسم الشرطة في اليوم التالي؟".

أخبره راسكولنكوف بأن مالكة المنزل قد تقدمت بشكوى ضده لأنه لم يدفع لها الإيجار، وأنه لم يكن قد تناول أي طعام طوال ذلك اليوم، لذا شعر بالإعياء وسقط مغشيًّا عليه.

سأل المحـقق بيتروفـيتش: "لماذا توجهت إلى متجر المرابية في اليوم الذي التقيتُ بك فيه؟".

دارت عينا راسكولنكوف في حيرة باحثًا عن إجابة. في الواقع، لم يكن يدري السبب الذي دفعه للذهاب إلى هناك، لكنه رد: "لقد تملكني الفضول".

ازداد المحقق بيتروفيتش اتكاءً على الطاولة، وقال في صوت هادئ كسى نبراته الحزم: " سيد راسكولنكوف، أظن أنك قتلت الآنسة إيفانوفنا وشقيقتها. أنت لديك الدافع، فمن

المؤكد أنك رغبت في استرداد أغراضك منها وأي شيء آخر يمكنك سرقته. لقد أتيت لتزور مسرح الجريمة، ربما لأنك سمعت أن ثمة من اعترف بارتكاب الجريمة، كما أنك كتبت مقالًا يدور حول أن خرق القانون هو أمر صائب إذا وقع لأسباب وجيهة".

عجز راسكولنكوف عن الكلام، فلقد عقد الخوف لسانه. فعلى أية حال، المحقق بيتروفيتش كان محقًّا في كل ما قاله.

استرخى المحقق بيتروفيتش مرة أخرى في مقعده وتحدث بنبرة مرحة: "بالطبع أنا لا أملك أي دليل، لذا يمكنك أن ترحل، لكن الأمر مسألة وقت. أنا أعلم أنك قتلت هاتين السيدتين وسأثبت هذا".



الفصل الخامس عشر

أقيمت جنازة مارميلادوف في دار عبادة صغيرة بعد مرور يومين مؤلمين من لقاء راسكولنكوف مع المحقق بيتروفيتش. جلست صوفيا في الصف الأمامي مرتدية أفضل قبعة لديها. أما راسكولنكوف فلقد جلس في أقـــرب مكــان من البـــــاب. كان يشعر بالانزعاج لوجوده في دار العبادة، فقد كان هذا يذكره بالخطايا البشعة التي اقترفها، لكن رغم ذلك أراد أن يودع صديقه ويدعم صوفيا.



بعد الجنازة، دعت صوفيا الضيوف إلى المقهى، فلم يكن لديها المال لتقدم لأي شخص مشروبًا أو شيئًا ليأكله، لكن مجموعة صغيرة من الناس انصرفت على أية حال. وسرعان ما رأت راسكولنكوف جالسًا وحيدًا في زاوية هادئة، ويبدو عليه المرض والشحوب.

كان يفكر في المحقق بيتروفيتش، وتخيل نفسه محتجزًا في تلك الغرفة الصغيرة التي لا نوافذ فيها حيث وجه المحقق إليه الاتهامات.

قالت صوفيا وهي تجلس إلى جواره: "أشكرك لأنك أتيت"، ثم وضعت يدها على يد راسكولنكوف وأمسكت بها سائلة: "هل أنت على ما يرام؟".

قال راسكـــولنكوف: "لا تقلقي بشأني. كيف حالك؟ هل فكرت فيما ستفعلينه؟".

أطرقـــت صوفيا وقالت: "لا أعرف، مـــازال بحوزتي ذلك المبلغ الذي أعطيتني إياه. سيكفيني هذا الآن".

فجأة، خطرت على بال راسكولنكوف فكرة، ووجد نفسه يقول: "أنا معي مال! الكثير منه. لا يمكنني الانتفاع به، لكن يمكنك أنتِ الانتفاع به!".

هزت صوفيا رأسهـا وقالت: " سامحني يا روديا، ولكن لا يبدو على هيئتك أنك تمتلك أي مال فائض عن حاجتك".

عرف راسكولنكوف أنـــه لا يستطيع إنفاق المال على رسوم جامعته؛ من المؤكد أن المحقق بيتروفيتش سيسأله كيف حصل عليه، ولكن إذا أخذت صوفيا الأموال المسروقة لمساعدة نفسها وعائلتها، فقد يأتي بعض الخير من جريمتي القتل اللتين ارتكبهما.



قـــال راسكولنكوف: "صوفيا، من فضلك، إذا أعطيتك المال الذي أملكه، فأنتِ بهذا تساعديني أيضًا".

قالت صوفيا: "أنا لا فهم شيئًا. كيف سأساعدك عندما تعطيني المال؟ من أين أتيت بهذا المال؟".

نظر راسكولنكوف إلى الطاولة. كان عليه أن يتخذ قرارًا، فإما أن يستمر في الكذب والتظاهر بأن المال جاء من مصدر آخر، أو الاعتراف. لقد كان الأمر مرعبًا، ولكن ربما كان إخبار شخص ما هو الشيء الصحيح الذي ينبغي له فعله.

بعد فترة من الصمت، اتخذ راسكولنكوف قراره وهمس لها: "هذا المال هو مال أليونا إيفانوفنا"، ومجرد النطق باسمها أصابه بالغثيان.

تركت صوفيا يد راسكـولنـكوف وسألته: “أتقصد المرابية التي قُتلت هي وشقيقتها؟”.

أومأ راسكولنكوف قائلًا: “نعم، قتلتهما. لقد فعلت هذا لأحصل على مصاريف الجامعة. كنت أريد أن أصبح محاميًا وأنقذ شقيقتي من زواج تعيس. الآن باتت شقيقتي تملك مالها الخاص. إنها لا تحتاج إلى مساعدتي، ولا يمكنني استخدام المال لأعود للدراسة. إن فعلتي الشنعاء ستكون بلا قيمة ما لم تأخذي المال الذي سرقته وتنتفعي به أنت”.

ظلت صوفيا صامتة لبضع دقائق لم تنطق بكلمة واحدة. كان راسكولنكوف على يقين من أنها تحتقره، لكن صوفيا وضعت رأسها على كتف راسكولنكوف وضغطت على ذراعه قائلة: “لقد ارتكبت خطأً فظيعًا. أرى أنك تدرك فظاعة ما ارتكبته، لكن إذا منحتني المال لن يكفر هذا عما فعلته، لن يجعلك هذا تشعر بالراحة”.



ترقرق الدمع في عيني راسكولنكوف، وسألها بصوت مختنق: "هل تكرهينني الآن بعدما عرفتِ أنني قاتل؟".

مدت صوفيا يدها في جيبها وأخرجت منه قلادة وضعتها حول عنق راسكولنكوف، وقالت: "لم أكرهك. أعرف أنك رجل صالح، لكن ينبغي لك أن تعترف بجريمتك. وعندما تفعل هذا، ستذكرك هذه القلادة دومًا بأنني بجانبك".

قبَّلت صوفيا جبهته وتركته بمفرده. كان راسكولنكوف مستغرقًا في التفكير لدرجة أنه لم يلاحظ ذلك الرجل الضخم الذي كان يراقبه في الظلام. لم يكن هذا الرجل سوى سفيدريجالوف، وقد سمع كل شيء.



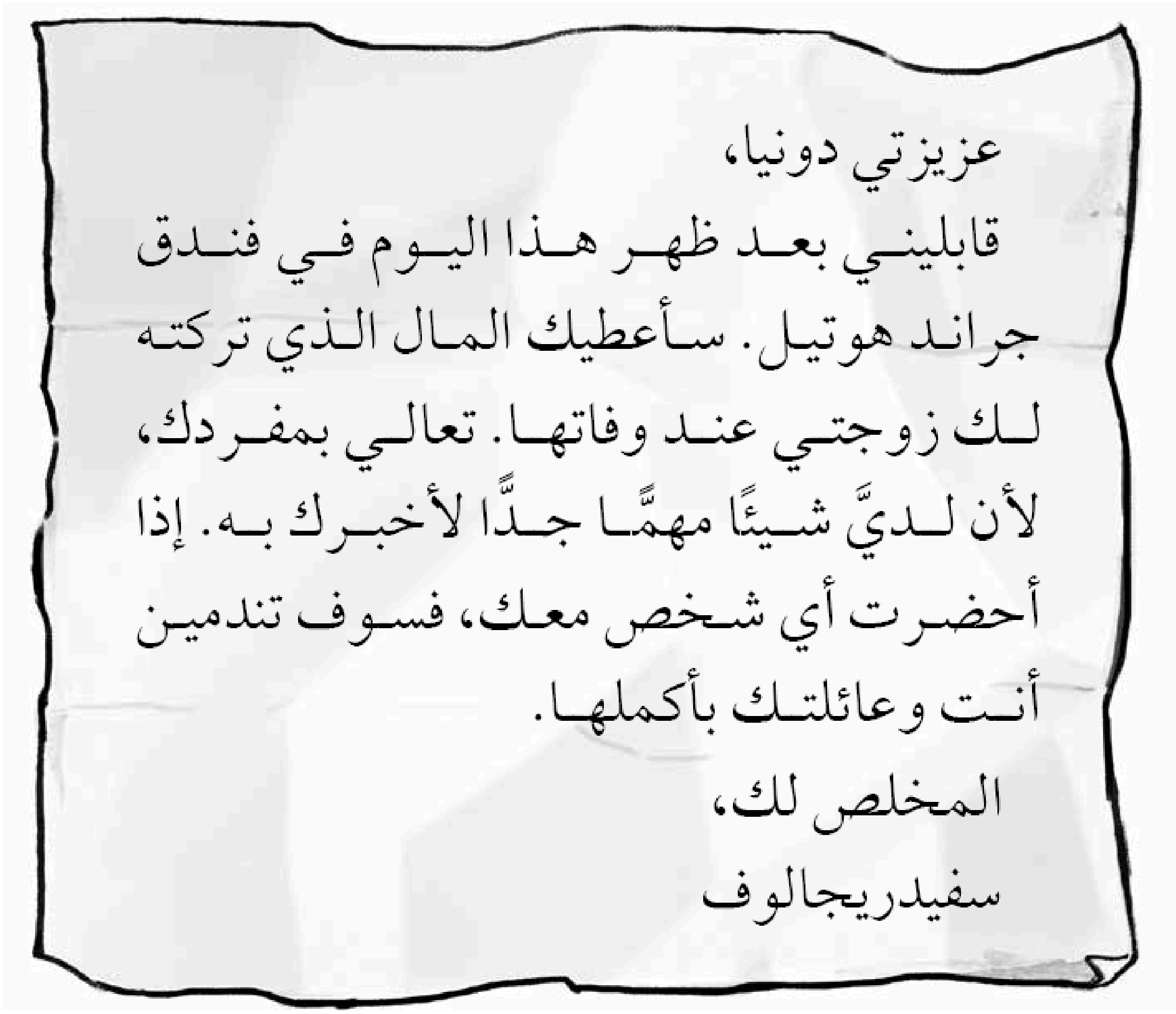
الفصل السادس عشر

عرف راسكولنكوف أنه لن يمر وقت طويل قبل أن يكتشف الجميع أمر جريمتيه، فإما أنه سيعترف على نفسه، أو أن المحقق بيتروفيتش سيعثر على الدليل الذي يبحث عنه ويلقي القبض عليه في النهاية، ففي كل الأحوال سيدخل السجن.

قبل أسبوعين مضيا، كان مستقبل راسكولنكوف أمامه. لقـــــد ظن أنه إذا حصل على المال، فستنتهي كل مشكلاته، فقد ظن أنه بالمال سيتخرج في كلية الحقوق وسيصبح محاميًا مشهور. كان سيتولى القضايا التي تساعد الناس، وبهذا يسدد ديونه للعالم، لكن هذا لن يحدث الآن. لقد ساعدته صوفيا على إدراك أن الاعتراف هو السبيل الوحيد أمامه.

قبل أن يتمكن راسكولنكوف من الذهاب إلى الشرطة، كان عليه التأكد من أن والدته وشقيقته وصوفيا بخير. والآن أصبح لدى دونيا بعض المال الذي سيمكنها من شراء منزل صغير. كان على يقين من أن ديميتري سيعتني بهما أيضًا. في الواقع، كان مقتنعًا بأن صديقه أصبح مرتبطًا بأخته بالفعل.

ومع ذلك لم تكن دونيا مع ديميتري في هذا الوقـــــــت، بل كانت واقفة خارج باب غرفة الفندق الذي يقيم به سفيدريجالوف، ممسكة بورقة مجعدة بين يديها المرتعدتين.


عزيزتي دونيا،

قابليني بعد ظهر هذا اليوم في فندق جراند هوتيل. سأعطيك المال الذي تركته لك زوجتي عند وفاتها. تعالي بمفردك، لأن لديَّ شيئًا مهمًّا جدًّا لأخبرك به. إذا أحضرت أي شخص معك، فسوف تندمين أنت وعائلتك بأكملها.

المخلص لك،

سفيدريجالوف

فتح سفيدريجالوف الباب وقال وهو يتنحى جانبًا ليسمح لدونيا بالدخول للغرفة: "ها قد أتيتِ! إنه لمن دواعي سروري أن أراك".

أخذت دونيا نفسًا عميقًا وهي تخطو داخل الغرفة.

استطرد سفيدريجالوف: "تسرني رؤيتك. لقد أردت الاعتذار عما بدر مني عندما كانت زوجتي على قيد الحياة". انتظر سفيدريجالوف أن تظهر دونيا أي رد فعل، لكن عندما لم تقل شيئًا، أخذ ورقة من مكتبه، وقال: "هذا هو المال الذي تركته زوجتي لك. لقد اعتبرَتك صديقة حقيقية".

أومأت دونيا ببطء، وأخذت الشيك ثم وضعته في حقيبتها واتجهت إلى الباب.

قال سفيدريجالوف: "ليس بهذه السرعة رجاءً. هناك اتفاق أرغب في عرضه عليك".

قالت دونيا: "ليس لديك أي شيء تقدمه لي. لا أريد أي شيء منك".

ابتسم سفيدريجالوف بخبث قائلًا: "هل تعلمين أن شقيقك قاتل؟". أخذ سفيدريجالوف ينظر برضا إلى وجه صوفيا الذي تقلصت عضلاته من أثر الصدمة.

قالت دونيا:"هذا ليس صحيحًا". صحيح أن شقيقها كان يمر بأوقات عصيبة، وكان يتصرف بغرابة في الأسبوع الماضي، لكن دونيا لم تصدق أنه قادر على القتل.

فقال سفيدريجالوف: "لقد سمعته بنفسي وهو يعترف بهذا لامرأة شابة في المقهى. لقد قال إنه قتل المرابية العجوز وشقيقتها ليسدد مصاريف الجامعة. والآن أخبريني، لِمَ أختلق حكاية مثل هذه إذا لم تكن صحيحة؟".

بحثت دونيا في رأسها عن جواب، فلقد تغير شقيقها مؤخرًا، وكان مشتتًا، كما أنه يغضب لأتفه الأسباب. هل ارتكب حقًّا هاتين الجريمتين؟



استـــــــــطرد سفيدريجالوف قائـــلًا: "والآن يمكنني أن أنسى كل ما سمعته، بشرط واحد". شعرت دونيا بالإعياء، وانقبض قلبها في خوف مما سيعرضه عليها.

لم يمهلها سفيدريجالوف، أو يعطيها فرصة لتفكر، وقال: "تزوجيني، ولن أبلغ الشرطة بما أعرفه".

تراجعت دونيا خطوة إلى الوراء نحو الباب. لقد حررت نفسها من فورها من خطبة لم تكن تريدها، وها هي الآن تحدق إلى رجل آخر يريد أن يرغمها على الزواج منه، لكن هذه المرة،

ستكون مخطوبة لرجل أسوأ بكثير. كان لوزين باردًا ومتعجرفًا، لكنه على الأقل لم يهددها. لقد بدأت يومها تحلم بمنزل صغير تعيش فيه مع والدتها، وحلمت بأن تمضي وقتًا أطول مع ديميتري. أما الآن، فكان كل شيء ينهار من حولها.

في تلك اللحظة، رأت دونيا فاتحة رسائل سفيدريجالوف على الطاولة بجوار الباب، فأمسكت بها وركضت نحوه، لكن سفيدريجالوف انحرف بعيدًا عن الطريق في الوقت المناسب. أسقطت دونيا فاتحة الرسائل من يدها وطفقت في البكاء.

حدق سفيدريجالوف إلى دونيا مذهولًا، فلم يكن يريد شيئًا أكثر من أن يكون معها، مهما كلفه الأمر، لكن ها هي على استعداد لإيذائه بدًلا من الزواج منه!

تنهد سفيدريجالوف بقوة وقال: "هل تكرهينني إلى هذا الحد يا دونيا؟! كل ذنبي هو أنني أحببتك".

صرخت دونيا: "أنت لا تحبني! أنت تبتزني وتهددني لتحصل على مرادك. أنت وحش!".

استند سفيدريجالوف إلى جدار غرفته في الفندق. لقد أدرك في هذه اللحظة أنه لن يحظى بحب دونيا أبدًا.

قال في انكسار: "ارحلي. لن أخبر أي أحد بشأن شقيقك التعس. ارحلي فقط".

ركضت دونيا نحو الباب وخرجت من الفندق إلى الشوارع الباردة، ولم تتوقف عن الركض حتى وصلت إلى شقة ديميتري، وعندما فتح ديميتري الباب ارتمت بين ذراعيه.

الفصل السابع عشر

بينما كان راسكولنـكوف يسير في الشارع، رأى سفيدريجالوف من مسافة بعيدة. كان يتجول في شوارع سانت بطرسبرج منذ نصف ساعة، على أمل أن يساعده الهواء النقي على التفكير بوضوح فيما كان على وشك فعله. كان سفيدريجالوف جالسًا على مقعد ورأسه بين يديه، وعلى الرغم من كرهه للرجل، شعر راسكولنكوف برغبة في التحدث معه.

اقترب راسكولنكوف من الرجل وسأله: "ما الذي تفعله هنا يا سفيدريجالوف؟".

تطلع سفيدريجالوف إليه بعينين حمراوين ووجهه تغطيه الدموع، ثم أجاب: "لا أعلم. وهل سيفرق هذا في شيء؟".

سأل راسكولنكوف قائلًا: "هل منحت شقيقتي ما لها؟". أومأ سفيدريجالوف دون أن يتحدث.

هم راسكولنكوف بمغادرة المكان، عندما استوقفه الرجل قائلًا: "من الفتاة التي كنت تتحدث معها في المقهى الليلة الماضية؟".



جفت الدمـــــاء في عـــــروق راسكولنكوف، وامتدت يــده بسرعة ممسكًا بالقلادة التي يرتديها حول عنقه، ثم رد: "صوفيا. إنها شخص لا تعرفه لتشغل نفسك به".

مد سفيدريجالوف يده إلى الجيب الداخلي لمعطفه وأعطى راسكولنكوف شيكًا بمبلغ كبير من المال، وقال: "أعطها هذا".

نظر راسكولنكوف إلى الشيك بعدم تصديق، وسأل: "لماذا؟".



قال سفيدريجالوف: "هذا هو المال الذي أردت أن أعطي أختك إياه. كنت آمل أن تكون هدية زفاف، لكن لا يمكن لأي مبلغ من المال أن يقنعها بأن تحبني. يبدو أن هذه الفتاة، صوفيا، لا تملك شيئًا. أنا لست بحاجة إلى المال"، ثم تغيرت تعابير وجهه من الشفقة ورُسمت على شفتيه ابتسامة مريرة، وقال: "ربما يمكنها استخدامه لزيارتك في السجن".

ارتفعت عينا راسكولنكوف لتلتقيا بعيني سفيدريجالوف، وهمس: "ماذا قلت؟".

لكن سفيدريجالوف كان قد ابتعد بالفعل. لم يكن راسكولنكوف يعرف إلى أين يتجه ولم يسأله. كل ما كان يعرفه هو أن ثمة شخصًا آخر يعرف الآن أنه قتل المرابية وشقيقتها. كان

وقته ينفد، وكان عليه أن يعترف بجريمتي القتل الآن، قبل أن يفعل ذلك شخص آخر نيابة عنه.

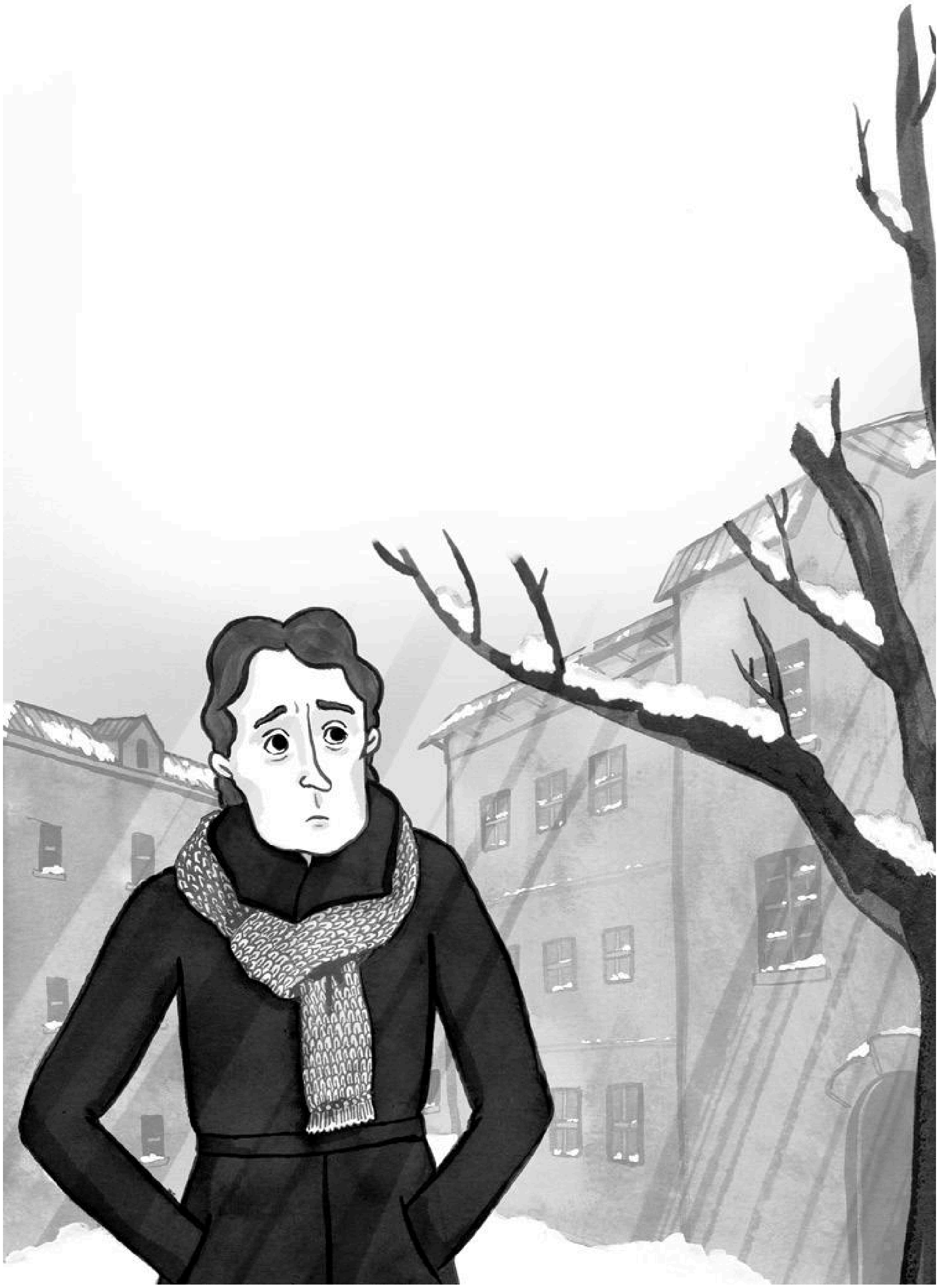
الفصل الثامن عشر

وقف راسكولنكوف أمام باب شقة ديميتري، ومن خلف الباب سمع أمه وأخته يتحدثان بهدوء في الداخل. أصبحت دونيا الآن حرة من ارتباطها بلوزين وسفيدريجالوف، كما بات الآن لديها المال الكافي لرعاية والدتهما. وكان راسكولنكوف على يقين من أن ديميتري يحب أخته، فالطريقة التي نظر بها إليها واعتنى بها كانت أكثر من مجرد صــداقة. عرف راسكــولنكوف أنهما سيكونان سعيدين معًا.

كادت صوفيـــا تسقط مغشيًّا عليها عندما سلمها راسكولنكوف المال الذي تركه لها سفيدريجالوف. في البداية ترددت في أخذه، وكان الأمر أغرب من أن تصدقه. ولكن بعد تشجيع راسكولنكوف، قبلت المبلغ. سينقذها هذا المال هي وعائلتها، وربما تستطيع أن تفعل به بعض الخير، الخير الذي لن يحصل راسكولنكوف على الفرصة لفعله الآن.

وبينما كان راسكولنكوف يسير إلى مركز الشرطة للاعتراف بجريمتيه، أخذ نفسًا عميقًا وحاول أن يتذكر كل تفاصيل العالم من حوله؛ المباني الشاهقة، والشمس الساطعة التي تتسلل من بين أغصان الأشجار، والطريقة التي يتراكم بها الثلج على جانب الطريق. ستكون هذه هي المرة الأخيرة التي يراها فيها وهو رجل حر.

ثم توقف، وفجأة لم يعد يدري هل عليه أن يستمر ويذهب للاعتراف. ربما لا تزال هناك فرصة لجلب المجوهرات المسروقة واستئناف دراسته مرة أخرى؟



ولكن عندما نظر حوله، رأى جسدًا ضئيلًا يقترب من بعيد. كانت صوفيا. فجأة، انتهى تردده، وعرف الآن ما يجب عليه فعله. يجب عليه أن يثبت أنه تغير لصوفيا ولعائلته.

وبينما كان يصعد درج قسم الشرطة، لحقت به صوفيا، ثم قالت وهي تمسك بيده: "سأقف إلى جانبك".

أخذ راسكولنكوف نفسًا عميقًا أخيرًا، ودخل القسم.

داخل القسم طلب راسكولنكوف مقابلة المحقق: "أود مقابلة المحقق بيتروفيتش رجاءً".

تقدم المحقق ببطء ناحيته من مؤخرة القسم، ورسم ابتسامة صغيرة على وجهه، وسأل: "هل لديك شيء لتخبرني به؟".

أجاب راسكولنكوف قائلًا: "نعم. أنا أعترف بقتل أليونا إيفانوفنا وشقيقتها".



النهاية

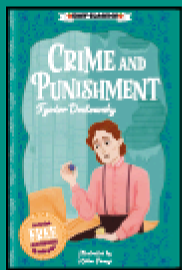
تزوج ديميتري ودونيا، وأنهى ديميتري دراســـته. عـــاش الزوجان السعيدان في منزل مستقـل أنـيق في سانـت بطرسبرج، مع والدة دونيا. عندما أُرسل راسكولنكوف إلى السجن، تحطم قلب والدته. كانت تشعر دائمًا بالحزن على الابن الذي فقدته، وعلى ما كان يمكن أن يكون عليه.

استخدمت صوفيا أموالها لمساعدة ما تبقى من عائلتها في سانت بطرسبرج، ثم انتقلت إلى سيبيريا، وعاشت في بلدة صغيرة قريبة من السجن الكبير الذي كان راسكولنكوف محتجزًا فيه بسبب جريمتيه وكانت تزوره متى استطاعت.

خلال الســـــنوات التي قضاها في السجن، فهم راسكولنكوف خطورة جريمتيه. لم يعد بإمكانه أن يخدع نفسه بأنه فعل الشيء الصحيح. بغض النظر عن مدى عظمة المحامي، أو عدد الأشخاص الذين كان من الممكن أن يساعدهم، فإن الأمر لم يكن يستحق أن يزهق حياة شخصين بريئين.



الغلاف الخلفي



لــم يعــرف **راســكولنكوف**، الطالب المتفــوق ذات يــوم، كيف انتهت بــه الحال إلى الفقــر والبؤس. ولما كان راســكولنكوف يفكــر في كيفية عودتــه بحياته إلى سابق عهدها، ارتكب جريمة **شنعاء**.

لكــن عندما تظهر أمه وشــقيقته اليائســتان عند عتبــة منزله، ويبدأ **محقق الشــرطة** العابــس يحــوم حوله، يــدرك راســكولنكوف أن متاعبه لم تنته بعد.

ترى هل سيعاقب راسكولنكوف على جريمته، أم سيقضي عليه إحساسه بالذنب أولًا؟



لشراء النسخة الإلكترونية

قارئة جرير
JARIR READER

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore

Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Adapted by: Gemma Barder
Licensor Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

ISBN 628-1072-14-460-9
6 281072 144609
282209000